

تفسير البحر المحيط

@ 110 @ وأبو الجوزاء : من أنفَسَهم بفتح الفاء من النفاسة ، والشيء النفيس . وروي عن أنس أنه سمعها كذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم) . وروي علي عنه عليه السلام : (أنا من أنفسكم نسباً وحسباً وصهراف ، ولا في آبائي من آدم إلى يوم ولدت سفاح كلها نكاح والحمد لله) . .

قيل : والمعنى من أشرفهم ، لأن عدنان ذروة ولد إسماعيل ، ومضر ذروة نزار بن معد بن عدنان ، وخندف ذروة مضر ، ومدركة ذروة خندف ، وقريش ذروة مدركة ، وذروة قريش محمد صلى الله عليه وسلم) . وفيما خطب به أبو طالب في تزويج خديجة رضي الله عنها وقد حضر معه بنو هاشم ورؤساء مضر : الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم ، وزرع اسماعيل ، وضئء معه ، وعنصر مضر ، وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه ، وجعل لنا بيتاً محجوجاً ، وحرماً آمناً ، وجعلنا الحكام على الناس ، ثم إنَّ ابن أخي هذا محمد بن عبد الله من لا يوازن به فتى من قريش إلا رجح به ، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل . وقال ابن عباس : ما خلق الله نفساً هي أكرم على الله من محمد رسوله صلى الله عليه وسلم) ، وما أقسم بحياة أحد غيره فقال : لعمر الله . .

{ يَتَذَلُّوْا عَلَآيَهُمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ } تقدّم تفسير هذه الجمل . .

{ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ } أي من قبل بعثه . .

{ لَفِي ضَلَالٍ } أي حيرة واضحة فهداهم به . وإنّ هنا هي الخفة من الثقلة ، وتقدّم الكلام عليها وعلى اللام في قوله : { وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً } والخلاف في ذلك فأغنى عن إعادته هنا . وقال الزمخشري : إنّ هي المخفة من الثقلة ، واللام هي الفارقة بينها وبين النافية ، وتقديره : وإنّ الشأن والحديث كانوا من قبل لفي ضلال مبين . انتهى .

وقال مكّي : وقد ذكر أنه قبل إن نافية ، واللام بمعنى إلا ، أي : وما كانوا من قبل إلا في ضلال مبين ، قال : وهذا قول الكوفيين . وأما سيبويه فإنه قال : إنّ مخفة من الثقلة ، واسمها مضمّر ، والتقدير على قوله : وإنهم كانوا من قبل في ضلال مبين . فظهر من كلام الزمخشري أنه حين خفت حذف اسمها وهو ضمير الشأن والحديث . ومن كلام مكّي أنها حين خفت حذف اسمها وهو ضمير عائد على المؤمنين ، وكلا هذين الوجهين لا نعرف . نحو : يا ذهب إليه . إنما تقرر عندنا في كتب النحو ومن الشيوخ أنّك إذا قلت : إن زيدا قائم ثم خفت ،

فمذهب البصريين فيها إذ ذاك وجهان : أحدهما : جواز الأعمال ، ويكون حالها وهي مخفة

كحالتها وهي مشدّدة ، إلا أنها لا تعمل في مضمّر . ومنع ذلك الكوفيون ، وهم محجّجون
بالسمع الثابت من لسان العرب . والوجه الثاني : وهو الأكثر عندهم أن تهمل فلا تعمل ، لا
في ظاهر ، ولا في مضمّر لا ملفوظ به ولا مقدّر ألّبتة . فإنّ وليها جملة اسمية ارتفعت
بالابتداء والخبر ، ولزمت اللام في ثاني مضمونيهما إن لم ينف ، وفي أولهما إن تأخر فنقول
: إن زيد لقائم ومدلوله مدلول إن زيدا قائم . وإنّ وليها جملة فعلية فلا بد عند
البصريين أن تكون من فواتح الابتداء . وإن جاء الفعل من غيرها فهو شاذ لا يقاس عليه عند
جمهورهم . والجملة من قوله : وإن كانوا ، حالية . والظاهر أن العامل فيها هو : ويعلمهم
، فهو حال من المفعول . .

{ أَوَلَمْ نَأْتِكُمْ مِّنْ صَّيْبَةٍ قَدْ أَصَابَتْكُمْ مَّثَلًا يَّهْتَأُونَ قُلُوبُهُمْ }
أَنزَلْنَاهَا